اختصار السر المحمود
للشيخ ابراهيم السقا

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ربنا على نعمة اعزاز الاسلام واذلال اهل الكفر الفجرة اللئام ونصلي ونسلم
على سيدنا محمد المبعوث بجنود المعجزات الباهرة المؤيد هو وامته بسيوف انا
لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا وفي الاخرة اما بعد فهذا ما اشار بسلوكه اجمع
الكل له صاحب السعادة ادام الله له العز والسيادة الناطق اسمه بالمجد وعلو
المكان لا برح طالع سعده مشرقا على ممر الزمان من اختصار السعي المحمود في
نظام الجنود تاليف كشاف الحقائق ومنبع الرقائق والدقائق شيخنا المحفوف
باللطف الخفي محمد بن محمود بن محمد الجزائري الحنفي اعلم انه لما حدث في هذه
الاعصار الاخيرة تطاول طغاة الامم الكافرة ورتبوا اجنادهم على طريق محكمة
ابتدعوها ودربوهم على فنون حيل اخترعوها قصد المكيدة الاسلام واهله
وسعيا في استباحة حماه وتمزيق شمله خيب الله املهم وابطل عملهم دعت
ضرورة الحال الى استعلام ذلك من قبلهم ومزاولة ما الفوه من صنايعهم وحيلهم
في ترتيب العساكر الاسلامية على نحو من ذلك نظاما جديدا امدهم الله بالنصر ومنحهم
تأييدا وترتيبهم على هذا النحو محصور في امور حربية وامور سياسية فههنا مقصدان
المقصد الاول في الامور الحربية وفيه فصول ونعني بالامور الحربية كل ما انتج قوة
محسوسة او معقولة على دفاع الاعدا وارهابهم واغاظة نفوسهم واتعابهم
وهي امور شرعية لانها اذلال الكفر وعز الاسلام وذلك هو المقصود من شرعية الجهاد
بالشارع وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا مع قوله صلى الله عليه
وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وجميع ما اشتمل عليه
النظام من ترتيب العساكر وتصنيفهم وحصر اعدادهم وتعديد عرفائهم وقوادهم
وتنويع اصنافهم وكبرائهم بلباس مخصوص او علامة وتضييق ملابسهم
وتقصيرها وتعيين مواقفهم وعملهم وتخصيص كل فريق براية او لوا وتدريبهم
على عمل الحرب بتعليم كيفية الطعن والضرب وغير ذلك من تصفيف واغارة واجتماع
وافتراق واقدام واحجام وكر وفر وركوب ونزول وظهور وكمون وتحريك
وتثبيت ورفع صوت وخفضه ورد منهزم الى اخر ما هم عليه منتج لما ذكر فهو مشروع
وايضا هو مندرج في عموم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم الاية كما يتبين

قوله تعالى اعدوا امر من الاعداد وهو تهيئة الشي لوقت حاجته وضمير لهم للكفار مطلقا
فتفيد ان المقصود من توجيه الامر ارهاب المجاهر بالعداوة وغيره على ما جزم به بعضهم وهو
الانسب وقيل لمن نقض العهد وعموم الحكم لغيره من دلالة السياق وما من ادوات العموم
فتشمل كل ما يتقوى به في الحرب والتحديد بالاستطاعة يفيد اختلاف الحكم بحسب المقدرة
ومن قوة لبيان الجنس والقوة خلاف الضعف والمراد الاسباب المحصلة للانتصاف
بها ظاهرة كانت وهي ما كان يدرك بالحس او بالعقل او باطنة وهي ما يعرف بالاخبار
الالهي والتعريف النبوي فمن الاول جميع الامور النظامية والمراكب برية وبحرية
والحصون والخنادق والاسلحة وادوات الرمي وذخائر المال والاكل والشرب وغير ذلك
مما يحتاج اليه والثاني اقامة الشرع بامتثال امره والوقوف عند حدوده خصوصا
اقامة الحدود والتحاب وولاة الاحكام والصاف الظالم من المظلوم والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والشفقة على الضعفا وجبر قلوبهم بالاحسان قوله وفعله والانفاق
من مال الله المحصل من وجوهه الشرعية او كسب طيب واللجا الى الله بالتوكل والتبري
من الحول والقوة والاستغفار والتوبة وملازمة الطاعات فعلى ائمة المسلمين
وامرائهم ما يليق بهم من تنظيم الاجناد وانتخاب الرجال واستجلاب قلوبهم ببذل
المستحق وتهيئة الادوات والذخائر وتسديد الراي في ذلك واعمال المشورة
والاستعانة بذوي الصلاح والراي والاخذ بجميع ما سبق من اقامة الشرع وعلى
الجند الحزم وعليهم العمل بالحزم بترك الركون الى السكون والدعة والتهاون بالاعداء وان
ضعفت شوكتهم فكم من عدو اسهر ليله ومنع الرقاد حليله فلتهجم منه
فلا تحقرن عدوا رماك • وان كان في ساعديه قصر • فان السيوف تحز الرقاب
وتعجز عما تنال الابر • وعلى كل من انتخب لاقامة هذا المهم الشريف بذل ما يلزم
من الامتثال والمسارعة الى الاجابة وتطييب النفس قال صلى الله عليه وسلم من
اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد
اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وقال ان امر عليكم عبد مجدع يقودكم
بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا وقال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره
الا ان يومر بمعصية فلا سمع ولا طاعة والطاعة المطلوبة الانقياد ظاهرا
وباطنا بالامتثال ومدافعة الكراهة الطبيعية حتى لا يقع في الخطيئة او يعظم
من عظم الله حرمته ~~لا يحصل لطاعته ... في كبير الله~~ فيكون مرتكبا للكبائر خارجا

عن

عن
الطاعة فيصدق عليه حديث من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة
جاهلية وعلى القاعدين الترغيب في ذلك دلالة على الخير وفي الحديث الدال على الخير
كفاعله وعليهم الاعتراف لهم بالجميل حيث اسقطوا الفرض عنهم ومقابلتهم بالاحسان فهل
جزاء الاحسان الا الاحسان وكف اللسان عن ذكر ولاة الامر الا بخير فان جميع ذلك من
بواعث اجتماع الكلمة ولا تتم القوة الا به فيندرج في ضمن الخطاب الكريم وحديث
الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي بعد قراءة واعدوا لهم ما استطعتم من قوة على المنبر
المراد منه بيان جلالة الرمي والتحريض عليه لانه مظنة التفريط لما فيه من زيادة
المونة وتوقفه على سبق التعلم او جاء تمثيلا والتنبيه على اندراجه في عموم لا
تخصيص الحكم به وكذا ما حكى الماوردي انها السلاح او التصافي واتفاق الكلمة او
الثقة بالله وقوله تعالى ومن رباط الخيل اي حبسها واقتنائها والجمهور ان المراد بالخيل
ما يعم الذكور والاناث وهذا تخصيص بعد التعميم مشير الى الاهتمام بشانها والحث
على اقتنائها وقال عكرمة المراد الاناث ونكتة التخصيص في التناسل وقوله ترهبون اي
تخوفون وضميره للاعداد او لما استطعتم والاتفاق انه استئناف مبين لحكمة الامر
وقوله عدو الله وعدوكم اي الكفار الذين هم اعداء الله واعداؤكم وقيل اهل مكة وقيل اعداء
الله بالكفر واعداؤكم بالمباينة كقطاع الطريق وقوله واخرين عطف على عدو اي وترهبون
اعداء اخرين سوى هولاء لا تعلمونهم الله يعلمهم والظاهر انهم كل من ابطن عداوة
اهل الاسلام من المنافقين واهل الذمة والعهد فانهم اذا راوا تيقظ المومنين داخلتهم
الهيبة وايسوا من ترقب الدوائر فلا يباطنون اهل الحرب بمكيدة المسلمين وجملة
الله يعلمهم مستانفة لله شارع الى انهم بلغوا في اخفا العداوة حدا لا يعلمه الا الله مبالغة
في التحرز منهم من التفريط والغفلة وفي عدم الاغترار بما يظهر من الامن وتودد الاعدا
لا سيما الكفرة فقيل كل العداوة قد ترجى مودتها • الا عداوة من عاداك في الدين • وفي انه لا يغتر
بتذلل اهل الذمة فانهم كما قيل ذلها اظهر التذلل منها • وفي القلوب كمائن المواضي • ولا باقبال
الايام ومساعدة الليالي قيل احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر • ولا باعتقاد خلو
البلاد من الاعداء الخالصة اذ الامر كما قيل كل موجود لا بد له من عدو وصديق وقوله تعالى
وما تنفقوا الى اخره حال او الحال ان ما تنفقونه من شيء جل او قل في سبيل الله الذي اسباب
القوة المذكورة او الطاعة مطلقا يوف اليكم اجره في الاخرة وانتم لا تظلمون اي لا يظلمكم

ولا شريك له في ملكه

احد بحرمان الاجر او نقصه لان ايفاه على رب كريم منزه عن الظلم والظلم هو مستلزم لخلف
الوعد والا فالظلم غير متصور منه تعالى اذ الاعمال غير موجبة للثواب والتخييل بذلك
مع انه استحالة خلف وعده تعالى ضرورية اشارة الى ان معاملته لهم في هذا الموطن على خلاف ما
في غيره فضيرا ايها الى تكفل بعفو الذنب ذنب المنفق وحسن ختامه والى هذا اشير حديث
جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في
حجره فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد
اليوم مرتين فصل في اتخاذ الجند وتجنيدهم اي جمعهم لحماية اهل الاسلام وجهاد الكفار
هو امر معروف من سيرته صلى الله عليه وسلم قوله وفعله فانه بايع الانصار ليلة العقبة
على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وقال ستفتح عليكم الامصار وستكون
جنود مجندة يقطع عليكم فيها بعوثا فيتكره الرجل منكم البعث فيتخلص من قومه
ثم يتصفح القبائل يعرض نفسه عليهم يقول من اكفه بعث كذا من اكفه بعث كذا الا وذلك
الاجير الى اخر قطرة من دمه وقوله يقطع بالبنا للفاعل اي يفرض ويعين عليكم الامام
فيها اي في شانها ومنها بعوثا اي مبعوثين اي مطلوبا بعثهم وقوله فيتكره اي يتكلف
اظهار الكراهة بابداء الاعذار وقصده التحيل على اخذ الاجر وقوله فذلكم الاجير اي
لا الغازي لما ثبت لفضله في حديث لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما
فيها وحديث ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار الى غير ذلك وقوله الى اخر
قطرة من دمه تنصيص على انسحاب حكم الحرمان عليه فان لازم موته بانحرمانه من الثواب
المرتب على الموعود للشهيد كالمغفرة المرتبة على اول دفعة من دمه لحديث للشهيد عند الله
سبع خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الايمان
ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويومن من
الفزع الاكبر ~~ويتوج تاج الوقار~~ يوضع على راسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا
وما فيها ويشفع في سبعين انسانا من اهل بيته فهذا الفضل خاص بمن كان باعثه على
الجهاد امرا شرعيا لا التكسب فعن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في
سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال لا اجر له ثلاث مرات فنص صلى الله عرض الدنيا
عليه وسلم على حرمان الاجر لمن اراد عرض الدنيا وهذا الاجير غرض متمحض له وهذا ان لم
تتجدد له نية اعلاء كلمة الله والا نال الفضل والاعمال بالخواتيم ففي هذا الحديث
المشروح اشارة الى ان ملك الاسلام سيتسع وتدعو الحاجة الى اتخاذ جنود مجندة من

طوائف

طوائف شتى فصل في ترتيب الجند اي تنزيل كل منهم منزلة تليق به بحسب ما له من
خصال الحرب ومعارفه الاصل فيه قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات اذ المراد بالعلم الجنس الشامل لكل علم شرعي وكل علم له ثمرة تتعلق باقامة امر شرعي
من علوم الشرع والعلم بكيفية الحرب وتصريف حيله من ذلك وحديث عائشة امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم ورعاية الرتبة اصل من اصول الشرع
يجب اعتباره في كل موطن وان انضم الى العلم كيفية الحرب علم الامور الدينية والديانة وحسن
الخلق والشفقة والانصاف والشجاعة كان زيادة في المرتبة والتكميل وبحسب زيادة الفضل
يكون التقديم لاسيما في الولايات قال صلى الله عليه وسلم من علم انه استعمل رجلا من
عصابة وفيهم من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمومنين وقال ايما رجل
استعمل رجلا على عشرة انفس علم ان في العشرة افضل ممن استعمل فقد غش الله وغش
رسوله وغش جماعة المسلمين فلا يولى امارة الجند الا اعلمهم بالحرب وتدبيره واجمعهم لخصال
الكمال ان وجد والا فلا يعدل عن اعلمهم بالحرب واسدهم رايا واثبتهم قلبا بشهادة التجربة
والامتحان لا بمجرد حسن الظن لانه خلاف الحزم قدم صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص
على جيش فيهم ابو بكر وعمر لفضل معرفته بالحرب كما اخبر بذلك ابو بكر فدل ذلك على ان فضل
العلم بالحرب هو المعتبر في بابه لكن ان تحققت اهلية سياسة الجند اما من تقاعدت
رتبته عنها لتقادح ديني او غيره كالمتهور فلا يولى بل يستعان برايه كتب عمر الى النعمان بن مقرن
استشر واستعن في حربك بطليحة وعمرو بن معدي كرب ولا تولهما من الامر شيئا فان كل
صانع اعلم بصناعته ووجهه ان طليحة ارتد بعد النبي وادعى النبوة الى ان قاتله خالد بن
الوليد في زمن ابي بكر وقتل طليحة في حربه ثابت بن اقرم وعكاشة بن محصن ثم انهزم وقتل اكثر
جيشه ثم قدم على ابي بكر مسلما وحسنت توبته وقدم على عمر فقال له انت قاتل الرجلين الصالحين
قال لم يهني الله بايديهما واكرمهما على يدي قال والله لا احبك ابدا قال فحيني تحية جميلة يا امير
المومنين واما عمرو فكان من اهل التهور روي عنه انه نزل على نهر القادسية وقال لاصحابه اني عابر
على الجسر وقادم على العدو فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي في يدي اقاتل به
تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وان ابطاتم وجدتموني قتيلا ثم حمل على
القوم فانغمس فيهم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما انا نرى
ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس من افراس
العجم فامسكه وان الفارس ليضربه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه
وخلى فرسه فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدتم والله تفقدوني قالوا اين فرسك قال رمي بنشابة

فعاروشب ضربيني فالمتهور لا يصلح لإمارة الجند والشجاعة قوة غضبية بين التهور والجبن
بها يتقدم على أمور ينبغي أن يتقدم عليها كقتال الكفار ثم بعد مرتبة التولية ينزل كل واحد من
آحاد الجند في مرتبة تليق به على حسب فضله ويراعي ذلك أيضا في تدوين الدواوين
وتوفير العطا فان عمر رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان أشار عليه علي رضي الله عنه بقسمة
ما يجتمع إليه من المال في كل سنة وأشار عليه عثمان بأن لا يقسم إلا بعد إحصاء الناس خوف عدم تمييز
من أخذ ممن لم يأخذ ~~فقال الوليد~~ فقال له الوليد بن هشام يا أمير المؤمنين قد جئت الشام
فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فأخذ بقوله فدعى عقيل بن أبي طالب ومخرمة
ابن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببني
هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال وددت والله أنه
هكذا ولكن ابدأوا بقرابة النبي الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله
وكتب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص انظر من كان قبلك ممن بايع النبي تحت الشجرة
فأتم لهم العطاء مائتي دينار وأتمها لنفسك لإمرتك وأتمها لخارجة بن حذافة لشجاعته
ولعثمان بن أبي العاص لضيافته **فصل** في تصنيف الجند أي جعلهم أصنافا متعددة
دل عليه حديث غزوة الفتح ففيه أمره صلى الله عليه وسلم للعباس أن يجلس أبا سفيان
بمضيق الوادي لتمر عليه جنود الله فيراها ففعل وكانت تمر قبيلة على رايتها فسأل
أبو سفيان من هذه فيقول له العباس القبيلة الفلانية فيقول ما لي ولها حتى
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار فقال سبحان
الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار فقال ما لأحد بهؤلاء
قبل ولا طاقة وحديث غزوة بدر كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج
مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن عبادة وحديث غزوة أحد كان فيه عقده
صلى الله عليه وسلم لواء الأوس بيد أسيد بن الحضير ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب
وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة
ففي هذه الأحاديث أن جند رسول الله كان أصنافا كل قبيلة على حدة وهذا أحسن سياسة
إذ فيه التحرز من افتراق الكلمة الناشئ من خلط الفرق المختلفة لتوزان العقل بسبب
اختلاف الطبع الناس كالأرض ومنها من خشن اللمس ومن لين والتناسب سبب
الألفة أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب وفيه أيضا زيادة الاجتهاد
لما جبلت عليه النفوس من حب الانفراد بالمآثر واعتقاد كل أحد بما ينسب لفريقه من
المفاخر والأنفة من معرة تخصه أو تعم فريقه وأيضا ذلك أسرع للإجابة عند الحاجة وأرهب

للعدو

وأرهب للعدو عند تكوّن الجمع وأمكن من التعاون وعبور المسالك الضيقة والعدل عن
عموم الهزيمة **فصل** في ضبط عدد الجند والأصل فيه ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين إن يكن منكم عشرون
صابرون الآيات وأخبار منها قوله صلى الله عليه وسلم يا أكثم خير الرفقاء أربعة وخير الطلائع
أربعون وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفا
من قلة فيما ذكر لهم إشارة إلى أن يكون عدد الجند معلوما إذ لا يعلم الوفاء بحق الحرب والخروج
عن عهدة الأمر إلا بعلمه وينبغي أن تستوفى الأعداد المروية إذ فيها سر اطلع الله عليه نبيه
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى **فصل** في تعديد قواد الجند وهم رؤساؤهم
وفي عرفنا الآن وهم نقباء دون الرؤساء أصل الأول ما سبق من تعديده صلى الله عليه وسلم
ألوية الجند والمعروف من سيرته ومن عادة الناس أن الألوية والرايات لا يحملها ولا يتكفل
بها إلا المتقدم على القوم وأصل الثاني قوله صلى الله عليه وسلم في قصة هوازن ارجعوا
حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم ففيه أن جنده كان فيه عرفاء يعرفونه أمر الناس ويستعلم
أحوالهم منهم وقوله العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار وهذا الوعيد
محمول على من لم يحسن رعاية من استرعى عليهم بأن لم ينصح لهم بإقامة حكم الله وإلا الإنصاف
والانتصاف منهم وكفهم عند الظلم ففي الحديث ما من وال عشرة إلا جيء به يوم القيامة
مغلولا معذبا أو مغفورا له **فصل** في تسويم الجند والأصل فيه آية يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها والسيما العلامة وفي سيما الملائكة يومئذ
روايات يمكن جمعها بأن البعض كان كذا والبعض كان كذا فروي أن الملائكة كانت بعمائم بيض إلا جبريل
فبعمامة صفراء كالزبير وقيل بعمائم صفر كالزبير وقيل كانت خيلهم مجززة الأذناب والنواصي معلمتها
بالصوف وروي أن جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم
ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض وقد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وقيل كانت سيما الملائكة في بدر
عمائم بيضا وفي أحد عمائم حمرا ففي الآية دليل جواز اتخاذ العلامة للقبائل لكن لا لتشبه كل قبيلة عند الحرب
وحديث تسوموا فإن الملائكة قد تسومت ففي الحديث الأمر به وأقل ما فيه الاستحباب ويلتحق
بالتسويم الشعار والخيار فيه لإمام المسلمين ولكن ثمة دلالة على الطلب لحديث إن بيتم فليكن
شعاركم حم لا ينصرون وحم اسم من أسمائه تعالى فكأنه حلف بالله لا ينصرون وعن سلمة غزونا مع أبي بكر
زمن رسول الله فكان شعارنا أمت أمت **فصل** في تضييق ملابس الجند وتقصيرها ترجم
البخاري في صحيحه فقال باب الجبة في السفر والحرب ثم روى بإسناده عن المغيرة قال انطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجته ثم أقبل فتلقيته بماء فتوضأ وعليه جبة شامية فمضمض واستنشق

وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه وكانا ضيقين فاخرجهما من تحت فغسلهما ومسح براسه وعلى خفيه
وروى في غزوة تبوك عن المغيرة قال ذهب النبي لبعض حاجاته فجئت اسكب عليه الماء لا اعلمه الا انه قال
في غزوة تبوك فغسل وجهه وذهب يغسل ذراعيه فضاق عليه كم الجبة فاخرجهما من تحت جبته
فغسلهما ثم مسح على خفيه ورواه مسلم وغيره بروايات مختلفة دل مجموعها انه صلى الله عليه وسلم لبس في
هذه الغزوة التي قصد بها ناحية الشام وحرب الروم جبة صوف من جنس ثيابهم كانت ضيقة الكمين
جدا فاستفيد منه استحباب لبس الثياب الضيقة في السفر والغزو لما فيها من خفة الحركة
وسهولة الركوب والنزول وابعد من الاشتغال بها عن مجالدة العدو وامن من تعلقه بها عند
مصارعته وكانت تلك الغزوة في شدة حر فلا يتجه انه قصد التدفي بها لم يقوى احتمال قصده
المكيدة بها حتى لا يعرف ويظن انه بعض عسكر الروم المحدث لهم لكن لا اقل من ثبوت جواز لبس ثياب
الكفار بقصد مكيدتهم فان هذه الجبة كانت من ثيابهم وهم اهل حرب يومئذ فيتخصص بذلك خبر
من تشبه بقوم فهو منهم فيحمل على من قصد التشبه لا لمكيدة اما لانه غرض ديني او دنيوي فلا يدخل
فيه هذا ويدل للتقصير وثيابك فطهر فسرت بقصر لان التقصير طهرة للثياب وذلك ان المشركين
كانوا يطولون ثيابهم فتجر اذيالهم على النجاسات وفي تطويل الثياب من الفخر والخيلاء ما ليس في قصيرها
فنهى صلى الله عليه وسلم عن التطويل وامر بالتقصير لذلك وفي الحديث من جر ثوبه من مخيلة لم ينظر الله
اليه يوم القيامة والمخيلة بفتح فكسر الكبر واحتقار الناس وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول وفي رواية عنه كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع
الاصابع وفي الباب احاديث كثيرة وبالجملة فالاخبار تفيد ان تقصير الثياب امر فاضل وان تغيير الزي
وتضييق الثياب رعاية لما تقتضيه الحرب امر مشروع لا وجه لاستكراهه بل لا اقل من استحبابه اذ
هو من المكملات للواجب لانه ابلغ في الاستعداد للحرب وعن عمر وفروا اظفاركم في الحرب فانها سلاح
ومعلوم ان قصها مطلوب فلا يامرهم بتركه الا لما هو اهم فاذا امرهم بتركه لتوهم الاحتياج اليها على ضعف
جدواه بل يعد من السيئات لما نحن فيه فتضييق الثياب اولى لعظم نفعه ولا يعارضه حديث
التشبه لما مر من حمله على حالة القصد للتشبه على ان التضييق الذي اختص به الكفرة بتخطيط
الثياب والسراويلات بحيث تصف العورة على شكل خاص وثياب الاسلام ليست بهذه المثابة
بل ربما تخالفها في اكثر الصفات فلا يثبت التشبه اذ المطلق كالخبر المذكور يحمل على الكامل ولا يتناول
الناقص وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل فصل في تعيين مواقف الجند
وتخصيص عملهم قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الاية قال ابن جرير يعني ولقد صدقكم
الله ايها المؤمنون من اصحاب محمد وعده الذي وعدكم على لسان رسوله وهو قوله للرماة باحد اثبتوا
مكانكم وان رايتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله يومئذ النصر
ان انتهوا الى امره ثم روى باسناده الى السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين باحد

امر

امر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رايتمونا قد هزمناهم فانا
لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وامر عليهم عبد الله بن جبير ثم ان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين
قام فقال يا معشر اصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا
الى الجنة فهل منكم احد يعجله الله بسيفي الى الجنة او يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن ابي
طالب فقال والذي نفسي بيده لا افارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار او يعجلني بسيفك
الى الجنة فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال انشدك الله والرحم يا ابن عم
فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي اصحابه ما منعك ان تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني
حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين
فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فهزموا ابا سفيان فلما راى ذلك خالد بن الوليد وهو
على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله واصحابه في جوف العسكر
ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر
فلما راى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل على اصحاب النبي فلما راى المشركون ان خيلهم
تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم وفي رواية فاصيب من المسلمين سبعون
قتيلا وقوله تعالى اذ تحسونهم باذنه معناه تقتلونهم قتلا ذريعا وكانوا قتلوا من المشركين
اثنين وعشرين رجلا وقوله حتى اذا فشلتم اي ضعفتم وجبنتم وتنازعتم اي تجاذبتم في الامر
اي ما وقع من الرماة وعصيتم بخلافكم امر رسول الله بملازمة المركز غاية للقتل وخطاب الجميع
بذلك على عادة العرب في نسبة ما للبعض للكل تجوزا استرا لمن فعل وزجرا لمن لم يفعل ان يفعل وقوله
من بعد ما اراكم ما تحبون اي من غلبتكم على المشركين وجواب اذا محذوف اي امتحنكم منكم من يريد الدنيا
التاركون للمركز والدنيا الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة الثابتون في مركزهم مع اميرهم عبد الله بن جبير
نفر دون العشرة قتلوا جميعا رضي الله عن الجميع وقوله ثم صرفكم الاية وجوهكم عنهم اي عن المشركين
عقوبة لكم على المخالفة ليبتليكم ليختبركم فيتميز المخلص من غيره المؤمن من المنافق ولقد عفى عنكم
علمكم بالعفو عما ارتكبتموه من مخالفة الامر اذ لم يستاصلكم العدو والله ذو فضل تفضل على
المؤمنين فلا يجازيهم بجميع ما يستحقونه من العقوبة ففي هذه الاية عتاب من قصر في لزوم
الموقف واشارة الى التاثيم بذلك لولا التدارك بالعفو والتحذير المعينين للمواقف من مفارقة
مراكزهم والمبادرة الى المغنم فان ذلك من اسباب الفشل والخطاب وان وجب الا على الاحد بغيرهم مراد
بالاولى وقال تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم خطاب للنبي
وعامل اذ محذوف اي واذكر والغدو الخروج اول النهار وكان ذلك في احد والاحزاب على الاختلاف وتبوئ
بمعنى تنزل ومقاعد جمع مقعد مكان القعود والمراد مواطن ومواقف والجمع لانه عين لهم مواقف
للميمنة والميسرة والقلب والساقة وبين لكل فريق موضعهم الذي يقفون فيه خرج صلى الله
عليه وسلم بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف

اصحابه للقتال كما يقوم بهم القدح ان بدا احد من خارجا قال تاج وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا
من ورائنا قال ابو منصور الماتريدي في الآية ان الائمة هم الذين يتولون امور العسكر ويختارون
المقاعد وعليهم تعاهد احوالهم ودفع الخلل والضياع عنهم ما احتملوا وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول
الاشارة من الامام قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اه ومن الراجح من الحزم
المألوف عند سواس الحروب ان تكون حماة الابطال ورماة الابطال في القلب فانه
مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة اليه فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كان متحصنا
للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثل الطائر اذا انكسر احد جناحيه
ترجى عودته ولو بعد حين كذلك واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا يحصى كثرة اهل الكسار في نواحي
العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون اليه ويكون لهم الظفر وقل عسكر انكسر قلبه فافلح فصل
في عقد الالوية والرايات اللواء العلم الصغير والراية اكبر منه واصح من البلد سبق بعقده صلى الله
عليه وسلم الالوية في بدر وما يتعلق بذلك وفي السيرة الحلبية لم تكن الرايات الا يوم خيبر فرق صلى
الله عليه وسلم الرايات يومئذ بين ابي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة وعن عائشة كان
لواء رسول الله يوم الفتح ابيض ورايته سوداء تسمى العقاب من مرط مرحل وفي سيرة الدمياطي
كانت له راية سوداء من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكانت له راية صفراء ولواء ابيض وفي الحلبية
كان له لواء ابيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله اي بالسواد والذي ينبغي ان تكون
الالوية بيضاء والرايات سوداء واللواء للامام والرايات للقواد كما يعرف من سيرته صلى
فعن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم فعند اخذ الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال انا فقال امض
ثم جاء رجل آخر فقال امطه ثم قال والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفر هاك يا علي فانطلق
حتى يفتح الله عليك اه وفيه اعتناؤه صلى الله عليه وسلم بامر الراية واختياره لها من تقدمت تجربته
وعلم وقائع بحقها فان عليا رضي الله عنه تقدمت له قبل مشاهد علم منها نصحه للحرب وشجاعته واقدامه
ثم تدبره وثباته الا مشاهد الا تبوك خلفه فيها النبي على المدينة وعن مصعب بن الزبير
كان علي حذرا في الحروب شديد الروغان من قرنه لا يكاد احد ان يتمكن منه وكان درعه صدرا
لا ظهر لها فقيل له الا تخاف ان تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا امكنت عدوي من ظهري فلا ابقى
الله عليه ان ابقى علي فما دفع النبي الراية الا لما شهدت له به التجربة وكوشف له من صدقه
واخلاصه وكذلك ينبغي لامراء الجند ان لا يمكنوا من الرايات الا لمن شهدت منه شدة التجربة
بسداد رأيه وقوة قلبه واقدامه في مواطن الاقدام وحسن التخلص اذا عظم البلاء وتوسموا
فيه صدق النية ونصح الدين ولا يخل بذلك لمن يظن عجزه عن القيام بحقها قالت حكماء العجم
اسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد فلا يتقدم على الجيش الا ذو
التجارب والنجدة ممن توسط الحروب ومارس الرجال وقارع الابطال الخبير بمواقع الفرص واشره

جميعهم
فاذا كان كذلك وصدر الامير عن رأيه كان كأنهم مثله فان رأى التقوى الكتائب وجها والعدد القسم للربية
وما اجمع عليه العجم وغيرهم ان قائد الجيش ينبغي ان تكون فيه عشرة خصال من خصال البهائم شجاعة كالديك
وتحنن كالدجاجة وقلب كقلب الاسد وروغان كالثعلب وغارة كالذئب وحذر كالغراب وحرص كالكركي
وصبر على الجراح كالكلب وحملة كالخنزير وسمن كدابة بخراسان لا تهزل بحال اوصى الصديق يزيد بن
ابي سفيان حين وجهه الى الشام فقال سر على بركة الله فاذا دخلت بلاد العدو فكن بعيدا من الحملة
فاني لا آمن عليك الجولة واستظهر في الزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه
واحترس من البيات فان في العرب غرة واقلل من الكلام فانما لك ما وعي عنك فاذا اتاك كتابي
فانفذه فانما اعمل على حسب انفاذه واذا قدمت وفود العجم فانزلهم معظم عسكرك واسبغ عليهم
النفقة وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين ولا تلحن في عقوبة ولا تسرعن اليها
وانت تكتفي بغيرها واقبل من الناس علانيتهم وكل الى الله سرائرهم ولا تجسس عسكرك فتفضحه
ولا تهمله فتفسده واستودعك الله الذي لا يضيع ودائعه اه واذا قتل من بيده الراية ينبغي
وجب على الحاضرين المبادرة لاخذها اشادة لعلم الدين وتثبيتا لقلوب المسلمين ووردت
آثار اخر في الراية منها انه كان لعلي راية حمراء يوم صفين فصل في التدريب على الاعمال الحربية
الى تعلم صناعة الحرب التي هي علم بكيفية اعمالها مع مباشرتها لتحصل ملكة التي هي كيفية
نفسانية تصدر عنها الافعال الاختيارية واصل ذلك قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان والاشبه بالصواب ان المراد فاضربوا اعلى الاعناق واطراف الاصابع بل الوجه
الارادة خصوص اطراف اصابع اليدين لانها ابلغ في العطب والبعد من توجيه السيف المتلف
لاصابة الارض ففي الآية بيان المعاطب والايماء بالتحذير من اتلاف آلة الدفاع وجميع
عدد الحرب مندرجة في هذا المعنى لاسيما العدد البارودية التي هي اعظم ما يتقوى به اهل الاسلام
دينا ولا تحصل الا بمال عظيم وهمة زائدة فتجب المبالغة في حفظها ولا تمكن الا من امين عارف
بانواعها مميز بين غليظها ورهيفها وقويها وضعيفها متوق من نوائبها حتى لا يعود ضررها
عليه او على احد من المسلمين فان ذلك ليس بالهين سأل عمر انس بن مالك اذا حاصرتم المدينة كيف
تصنعون قالوا نبعث الرجل الى المدينة ونضع له هنة من جلود قال ارأيت ان رمي بحجر قال اذا
يقتل قال فلا تفعلوا فوالذي نفسي بيده ما يسرني ان تفتحوا مدينة فيها اربعة آلاف مقاتل بتضييع
رجل مسلم ومن ادام ما يعتني التحفظ من اصابة النار شيئا من البارود حين العلوق فان
الخطر فيه اعظم والمتوكل بذلك مندرج في عموم من حرس في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان
لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله يقول وان منكم الا واردها ووردت في الحث على
تعلم الرمي احاديث منها علموا بنيكم الرمي فانه نكاية العدو ومنها من علم الرمي ثم تركه فليس منا
ومنها من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضلون بالسوق
فقال ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا وانا مع بني فلان لاحد الفريقين فامسكوا بايديهم فقال ما لهم
قالوا وكيف نرمي وانت مع بني فلان فقال ارموا وانا معكم كلكم ومعنى ينتضلون يترامون وتماما بيناهم

متاوردوا المسلمين

مارى

وورد في المنجنيق ان النبي صلى الله عليه وسلم نصب ~~المنجنيق~~ على اهل الطائف منجنيقا او عرادة
وهي بالتشديد شيء اصغر من المنجنيق وكان نصبه اربعين يوما كما في رواية والذي اشار به سلمان
الفارسي واول من رمى بالمنجنيق في الاسلام نبي الله رمى به اهل الطائف ~~[illegible]~~ وفي الحلبية
في الحديث عن غزوة خيبر ان صلى الله عليه وسلم بيتا وبين اصحابه في حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة
من السبع استعمل عمر فطاف باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فامر
به عمر ان تضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى اكلمه فامسكه عنه وانتهى الى باب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله لليهودي ما وراءك فقال تؤمنني يا ابا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن
النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون
فيه ذراريهم ويتهيأون فيه للقتال وفي هذا الحصن في بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات
ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وانت تدخله قال رسول الله ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله
اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري واخرى قال ما هي قال تستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل
الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا ابا
القاسم احقن دمي قال انت امن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقال انظرني اياما وجا في اقتناء الخيل والركوب والمسابقة احاديث منها من احتبس
فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله في ميزانه يوم القيامة ومنها
الخيل معقود في نواصيها الخير واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة ومنها
ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا ومنها لا سبق الا في نصل او خف او حافر والسبق
بفتح الباء الاسم ~~[illegible]~~ وسابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي اضمرت من الحفيا وامدها
ثنية الوداع وبينهما ستة اميال وسابق بين الخيل التي لم تضمر وامدها من الثنية الى مسجد بني
زريق وبينهما ميل والتضمير في الخيل ان تعلف الحب والقضيم حتى تسمن وتقوى ثم تقلل العلف
وتترك حتى تحمى وتقوى وله تعلف الا قوتا حتى يذهب رهلها وورد في الدرق والحراب حديث عائشة
قالت كان يوما عندي يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله واما قال تشتهين ان تنظري
فقلت نعم فاقامني وراءه خدي على خده ويقول دونكم بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم
قال فاذهبي وبنو ارفدة لقب الحبشة وجا في المصارعة حديث ركانة حيث دعا النبي
الى مصارعته فصرعه مرارا النبي ثلاث مرار وكل مرة يقول له ركانة لكم عشرا من غنمي وكان ركانة من افتك الناس واشدهم لم يوضع جنبه قط حتى انه لما رجع نبي الله من وادي ركانة ~~[illegible]~~ وراه كر
~~[illegible]~~ وطلب ابو بكر وعمر خرجا في طلبه لاخبار عائشة لهما انه خرج الى اضم وهو وادي
ركانة قالا يا نبي الله كيف تخرج الى هذا الوادي وقد علمت انه جهة ركانة وانه من افتك الناس
واشدهم تكذيبا لك فضحك اليهما ثم قال اليس يقول الله لي والله يعصمك من الناس الحديث بطوله
رواه ابو نعيم في دلائل النبوة مطولا واصل في تصفيف الصفوف آية ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص سبب نزولها والاية التي قبلها ان الله اخبر رسوله بثواب

شهدا

شهدا بدر فقالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد
فعيرهم الله بهذه بقوله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون الايات
وقوله صفا حال اي صافين انفسهم وقوله كانهم بنيان حال من المستكن في الحال اي مشبهين
في تراصهم من غير خلل ببنيان مرصوص رص بعضه الى بعض وهذا كناية عن ثبات
القلب واجتماع الكلمة والحد في كل اوطار القتال واحواله ولو ابقي اللفظ على ظاهره
لاقتضى ذم التقدم الى العدو وحدا وتفريقا وفضيلة الصف تستفاد من المعنى
الحقيقي يراد مع الكناية خصوصا عند القرينة وفي الحديث عن غزوة بدر عدل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصفوف فتقدم سواد امام الصف فدفع النبي في بطن سواد بقدح
وقال استو يا سواد فقال اقدني وجعتني والذي بعثك بالحق نبيا اقدني فكشف رسول الله
بطنه ثم قال استقد فاعتنقه وقبله فقال ما حملك على ما صنعت فقال حضر من امر
الله ما ترى فخشيت القتل فاردت ان يكون اخر عهدي بك وفيه اظهار النشاط وطيب
النفس والفرح بلقاء الله وقلة المبالاة بحد السيوف ورشق السهام وطعن الرماح
في مرضاة الله ورسوله وينبغي ان يكون ذلك حال كل مومن في مثل هذا الموطن وورد
في ذكر الصف احاديث منها مقام الرجل في الصف في سبيل الله افضل من عبادة ستين سنة
ومنها قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة وورد في الاغارة احاديث
منها الا اخبركم بخير الناس رجلا قالوا بلى قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر
ان يغير او يغار عليه ومنها انه صلى الله عليه وسلم اغار على بني المصطلق وهم غارون في
نعمهم بالمريسيع فقتل المقاتلة وسبى الذرية واصل الاجتماع والافتراق يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا واخذ الحذر التيقظ والاحتراز من المخوف
والنفير الخروج الى العدو غزوا والمعنى احترزوا من العدو فاخرجوا اذا خرجتم للغزوة اما
ثبات اي جماعات ذوي منعة جماعة بعد جماعة واما جميعا مجتمعين كبة واحدة ولا تتزردا
بانفسكم بتعليل الجمع بالتوقي في المنازل عن ابي ثعلبة قال كان الناس اذا نزلوا منزلا تفرقوا
في الشعاب والاودية فقال رسول الله ان تفرقكم في هذه الشعاب والاودية انما ذلكم من الشيطان
فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا الا انضم بعضهم الى بعض حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم وفي الاية اشارة
الى انه يجب على امير الجيش اذا اقعد كمينا او ارصد عينا او وجه سرية او نحو ذلك ان يعين
لذلك جمعا تظن بهم الكفاية في المنعة ولا يغرر بهم لان الحذر المامور به في الاية اعم من حذر
المخاطب على نفسه وكل مومن معه فان المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وورد وجا

في الاقدام حديث ما تقدم رجل خطوة في سبيل الله عز وجل الا اطلعن عليه الحور العين وان تاخر خطوة استحيين منه واستترن منه فان استشهد كانت اول نفحة من دمه كفارة لخطاياه وينزل عليه اثنتان من الحور وتنفضان التراب عن وجهه ويقولان مرحبا فقد ان لك ويقول هو مرحبا فقد ان لكما وفي الاحجام وهو الكف عن القتال قوله صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف فلم ينل منهم شيا انا قافلون ان شاء الله فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتحه فقال اغدوا على القتال فغدوا فاصابهم جراح فقال انا قافلون غدا ان شاء الله فاعجبهم فضحك صلى الله عليه وسلم وحا

في الكر والفر عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله في سرية فحاص الناس حيصة فاتينا المدينة فاختفينا بها وقلنا هلكنا ثم اتينا رسول الله فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون وانا فئتكم حاص بمهملتين فروا العكارون الكرارون يقال عكر اذا عطف اي انتم المتحيزون الى فئتكم على نية العود الى الجهاد عند حصول الامداد وانا فئتكم اي ناصركم ومعاذكم وهذا منه تمهيد لعذرهم وافادة لشرعية الفرار اعلم النجم واحسن التخلص اذ كان هذا في غزوة مؤتة بارض الشام وهم ثلاثة الاف والعدو جموع لا قبل لهم بها فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتخلصوا وحا

في الركوب والسبق وما روي عن جرير قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تريحني من ذي الخلصة فانطلقت في خمسين ومائة فارس من احمس وكانوا اصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب على صدري حتى رايت اثر يده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وذو الخلصة بيت باليمن فيه نصب تعبد يقال له الكعبة فاتاها فحرقها بالنار وكسرها وحا

في التطهير والنزول تجلدا للاعداء ما حكاه البراء رضي الله عنه عن صفة حنين لما سئل اكنتم وليتم يوم حنين فقال اشهد على نبي الله ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله وابو سفيان يقود بغلته ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك قال البراء وكنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله به والشجاع منا الذي يحاذ به يعني النبي وكان هذا منه بعد ان ركض ببغلته قبل العدو وعمه العباس وابو سفيان يثقلانها لئلا يسرع وهو ينوه باسمه ويدعو المسلمين الى الرجوع ويقول ابن عباد الله انا رسول الله نغنيه شدة شجاعته اذ هو على بغلة لا تصلح لكر ولا لفر وهو مع ذلك ركضها جهتهم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه وكذلك ينبغي لرئيس الجنود التجلد للاعدا عند التقا في الجيوش اذ ذلك ادعى لرهبة العدو اذا علموا شجاعته وتراجع جنده اذا علموا ثباته ولكونوا له قال ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما وحا

فنزل ودعا

في التحريض والتثبيت قوله تعالى يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ومعناه التهييج على الاقدام بكل ما امكن من المرغبات واعظمها التذكير بوعد النصر وترتب الغلب على الصبر وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم قيل بالحضور معهم وقيل بالتبشير فكان الملك يمشي في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم وقيل بالقاء ذلك في قلوبهم وحا

في رفع الصوت حديث امره صلى الله عليه وسلم العباس بنداء اصحاب السمرة قال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار ويروى كان صوته رضي الله عنه يسمع من ثمانية اميال ففي هذا الحديث انه ينبغي استصحاب ذوي الاصوات العالية مع الجند استعدادا لمثل هذا الموطن فان له موقعا عظيما في استنجاد الرجال وارهاب العدو وانه ينبغي ان يخص بالدعوة رجال الحرب الموصوفين باخلاص النية وصدق الكرة فانه صلى الله عليه وسلم خص هوله المعروف نفعهم لله ورسوله وتدربهم على مجالدة الاعدا ولم يعرج على احد من الطلقاء ومسلمة الفتح اذ كانت الهزيمة بسببهم ولا خير واستخدا جبان قال الشاعر يقول لي الامير بغير علم تقدم حين جد بنا المراس فما لي ان اطعتك من حياة وما لي غير هذا الراس راس وحا

في خفض الصوت ما روي عن قيس بن عباد كان اصحاب رسول الله يكرهون الصوت في القتال اي في غير حاجة وحا

في رد المنهزم بعثه صلى الله عليه وسلم ناسا من الناس يوم احد فكانوا من ورائهم فقال كونوا هاهنا فردوا وجه من فر منا وكونوا حرسا لنا من قبل ظهورنا وحا

في الحراسة حديث طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث راسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن لم يوذن وان شفع لم يشفع وحديث حرام على عينين ان تنالهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل ~~الله~~ الاسلام واهله من اهل الكفر وحديث حرس ليلة في سبيل الله على ساحل البحر افضل من صيام رجل وقيامه في اهله الف سنة السنة ثلثمائة يوم اليوم كالف سنة وحا

في ركوب البحر قوله صلى الله عليه وسلم شهيد البحر مثل شهيدي البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل وان الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الارواح الا شهدا البحر فانه يتولى قبض ارواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب والدين

فصل في الحصون والخنادق والاسلحة وعدة الرمي ورد في الحصون انه صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة فقال هل ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر والاطام حصون المدينة لاهل وما روي ان عائشة كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من احصن حصون المدينة وفي الخنادق حفر صلى الله عليه وسلم الخندق وهو شهير

والذي اشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه عند استشارته صلى الله عليه وسلم الناس لما بلغه خبر الاحزاب فقال يا رسول الله
انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فاعجبهم ذلك وباشر النبي العمل بنفسه فكان ينقل
من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه وفي حديث البراء لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة لا ياخذها المعول فاشتكيناه لرسول الله فجاء والقى ثوبه واخذ المعول وقال
بسم الله فضربها ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله اكبر ثم ضرب اخرى وكسر ثلثا وكبر ثم ضرب
الثالثة فقطع الحجر وذكر الحديث بطوله البخاري من التحوط في الثغور ركام في المدخل حفر الخنادق
والاحتساب في حفرها مستنين بفعل رسول الله وقطعهم للحجر الذي منه اعيت الصحابة الحيلة وكرهها
الا والتفريط فيها استهوانا لامر العدو واغترارا بكثرة الجند تمكين للعدو من التبييت وتعريض
النفس للهزيمة فقد حذر المهلب بن ابي صفرة لما تولى قتال قطري احد روس الخوارج وابطالهم من
البيات حذرا شديدا وبعث الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقد نزل المشرق الا انه معتزلا من عسكر
المهلب يا ابن اخي خندق على نفسك واصحابك فاني اعلم بامر الخوارج فلا تغتر فبعث اليه عبد الرحمن
انا اعلم بهم منك وهم اهون علي من ضرطة جمل فبيته قطري فقتل من جيشه خمسمائة وفر عبد الرحمن
فكثر فقيل فيه تركت ولدانا تدمي نحورهم وجئت منهزما يا ضرطة الجمل وفي اخذ السلاح
عند الخوف المجوز للصلاة به اية واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة والامر باخذه في هذه الاية الكريمة
للوجوب بدلالة تعقيبه برخصة وضعه والمامور به المصلون على الاظهر خصوا لانه حالة الاشتغال
بالصلاة مظنة وضعه وشمول الامر غيرهم لكن الى الة بالاولى ورخص في وضعه للمطر المشقة في حمله
ولثقله العدو عن الحركة حج والمرض للعذر وفي الاية اشارة الى ان العزيمة حمله متمسك لكل من تمكن ولو اشتد
حكى عن ابن ادهم انه غزا حجة في بحر الروم ثم مرض مرضا شديدا فقال لاصحابه اوتروا الى القوس فقبض
عليها وتوفي وهي في كفه والسلاح الة الحرب من الحديد والسيف وحده يسمى سلاحا وفيه اخبار
منها ان الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته وهم يصلون عليه ما دام متقلده
ومنها من تقلد سيفا في سبيل الله قلده الله يوم القيامة وشاحين من الجنة لا تقوم لهما الدنيا
وما فيها من يوم خلقها الى يوم يفنيها وصلت عليه الملائكة حتى يضعه وان الله ليباهي ملائكته
بسيف الغازي في سبيل الله ورمحه وسلاحه واذا باهى الله ملائكته بعبد من عباده لم يعذبه بعد
ذلك ومنها السيوف مفاتيح الجنة وورد في عدة الرمي اخبار منها ان الله ليدخل بالسهم الواحد صانعه يحتسب
فيه والمعد به والرامي به ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وهو
اسم فاعل من انبله اذا ناوله النبل وهي السهام العربية لطاف ليست بطوال كسهام النشاب والانبال
على وجهين احدهما ان يقوم مع الرامي بجنبه او خلفه ومعه عيدان النبل فيناوله واحدا بعد واحد الثاني ان يرد
عليه النبل المرمي به وهذا بعينه هو معنى المعد به في طريق اخر والعدد الوارد في الاية لا السهام فالاولى

لانها اعظم نكاية وليس المقصود في الخبر ذات السهم بل عائدته فاله قوي منه عائدة مفاد من نصه
بالاولى فصل في حيل الحرب وفيها اخبار منها قوله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة ومنها انه كان
اذا اراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة والمراد بالتورية هنا التعريض وترك التصريح
لا التصريح بخلاف ما قصد اليه فانه غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وان قال باباحة التصريح
بهذا المعنى جمع من العلماء في الثلاث الواردة في خبر لا يحل الكذب الا في ثلاث رجل كذب امراته
ليرضيها ورجل كذب في الحرب فان الحرب خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وكل منهم
اخذا بظاهره ومن المشايخ من حمله لكن على المعاريض بان يقصد من اللفظ معنى محتملا بحسب
اللغة كان يقول لعدوه مات ملككم وينوي ملكا لهم في الزمان السابق والجمع ممكن بحمل ذلك
على اختلاف الاشخاص والمقامات فان العدو قد يدقق البحث فيضيق مجال التعريض
وليس كل احد يحسنه وقوله خدعة بفتح او ضم فسكون او بضم ففتح صحح الاول ففيما روينا
اشارة الى استحباب استعمال الراي والحيل في الحرب ومن هنا قال في السراج الحرب خدعة عند
جميع العقلاء واخرى يجب ركوبه قرع الكتائب وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبتدا
بتصريف الحيلة في نيل الظفر فاولها ذلك تبث الجواسيس في عسكر العدو ليستعلم اخباره ثم
الاعانات ويستقبل الروسا وذوي الشجاعة ويدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوي اطماعهم
في نيل ما عنده من الهبات المنجحة والولايات السنية وان راى وجها عاجلهم بالتحف والهدايا
وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما اعتزاله وقت اللقاء ويبني على السنتهم كتبا مدلسة اليه
ويبثها في عسكره ويضرب بينهم وجميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال واللقا تنفق فيه الارواح
والروس ودخول الحيلة لا تحصر والحاضر فيها من الغائب ابصر ولله در المهلب كتب اليه
الحجاج يستعجله في حرب الازارقة فقال في الجواب ان من البلاء ان يكون الراي لمن يملكه لا لمن
من يبصره وقال المختار ليزيد بن انس حين امره بقتال ابن زياد امض الى عدوك برايك غير مستبد
وبحزم غير متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع في ملكك ولا يرى بقليلك
واستخر الله قبل اقدامك وتوقف واوصت ام الديار العبسية ابنها الفتاك وهو من اشد الخلق
يا بني لا تنشب في حرب اذا وقعت بها حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس اقوى ما تكون اذا
وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا ايست منها واحمد العدة ما كانت الحيلة مدبرة لها
واخلس من تجارب خلسة الذيب وطر منه طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو
البلاء وقال ابو مسلم لابنه وكان احد الفتاك يا بني كن بحيلتك اوثق منك بشدتك وبحذرك
اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المتهور وغنيمة الحذر ومن اعظم المكايد في الحرب الكمنا فكم من

عسكر استبيحت بيضته وقل عزمه بالكمنا ولتكن الهمة وراذلك وعليه مدار الحروب في اصطناع
الشجعان واختبار الابطال فاصطنعوا اصحاب الاقدام والجراة ولا تبال بقلتهم ولا تنس
بيت الشاعر والناس الف منهم كواحد وواحد كالالف ان امر عنى فهم في الجيش وان قلوا
كالانجحة في الليل لما التقي المستعين بن هود احد ملوك الاندلس مع الطاغية بن ردمير النصراني
على مدينة وشقة في ثغور بلاد الاندلس يراهق عسكر كل منهما عشرين الف مقاتل بين خيل
ورجل ودني اللقا قال الطاغية لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم مني في عسكر
المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كايم وفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم
فلان وفلان الى ان عد سبعة قال انظر وامن في عسكري فوجد وهم ثمانية فقام الطاغية مسرورا
يقول يا بشاشتك من يوم ثم تناشب الحرب فلم تزل المضاربة بين الفريقين حتى قتل اكثر العسكرين
ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر نظروا الى المسلمين ساعة وحملوا عليهم وداخلوهم نفر قوانيهم
فضعف المسلمون ولم تتم الحرب الا ساعة فاشار مقدموا العسكر على السلطان ان ينجو بنفسه واهلك
المسلمون وملك عدوهم مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم من جمع يحتوي على عشرين الف مقاتل ولا
يجرح من الشجعان المعدود الا ثمانية ثم وليعتبر بجمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة
لما زاد في ابطاله رجل واحد وحكي ابو الوليد الباجي ان المنصور بن ابي عامر بينما هو في بعض غزواته
اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فراى جيوش المسلمين بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله
قد ملووا السهل والجبل فالتفت الى ابن المصحفي مقدم عسكره وقال له كيف ترى في هذا العسكر فقال
ارى جمعا كثيرا قال له المنصور لا يخرنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من اهل الشجاعة والبسالة
فسكت فقال له ما سكوتك اليس في هذا الجيش الف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال افيهم خمسمائة
من الابطال قال لا فحنق المنصور ثم قال افيهم مائة قال لا قال افيهم خمسون قال لا فسبه المنصور
واستخف به وامر باخراجه على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان
فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون ثم جعل العلج
يموج بين الصفين ويقول هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فوقع مثل ما
وقع اولا ثم نادى العلج هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله فصاح المشركون وذل
المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور
الا ترى ما يفعل هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بلغني ما جرى قال فما الحيلة فيه قال وما تريد قال
ان تكفي المسلمين شره قال نعم الان ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على
فرس انثى وراكبها هزال يحمل عليها قربة ماء وهو في حلية غير متقنة قال له ابن المصحفي

ان

الا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رايته فماذا تريد منه قال اريد راسه الان قال
نعم ثم حل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة واذا الرجل يحمل راس
العلج فالقاها بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هولاء الرجال اخبرتك انه ليس
في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن
المصحفي الى رتبته واكرمه فصل في الحزم وهو ضبط الرجل امره واخذه بالثقة وقيل
جودة الراي في الحذر وقيل انه تستشير اهل الراي ثم تطيعهم واحسن ما ضرب به ما روي
عنه صلى الله عليه وسلم الحزم سوء الظن اي ممن يخاف شره مع العمل بمقتضى ذلك من كمال التوقي
والاحتراز فيه قوله تعالى خذوا حذركم وقد مر بيانه من اهم ما يعتني به رئيس الجند ان يجيل
فكره ويعمل باله في مداخل المكيدة واسباب المخرج فيعد لها عدتها ويتحرز من غائلتها
قبل ما يتحرز من الملاء به قبل حلولها ثم يتضعضع منها عند نزولها قال الشاعر
يمثل ذو اللب في نفسه نوائبه قبل ان تنزلا فان نزلت بغتة لم ترعه اذ كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى آخر فصير اخره اولا وذو الجهل يامن ايامه وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته خطوب الزمن ببعض نوائبه اعولا ولو قدم الحزم في نفسه لعلمه الحزم ان يحملا
وقيل شتت بسديد رايك شمل مكايد اهل بغيك واحسن من قال الراي قبل شجاعة الشجعان
هو اول وهي المحل الثاني فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه بالراي قبل تطاعن الاقران وعن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعثه في غزوة ذات السلاسل فسالة اصحابه ان يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا
ابا بكر فكلمه فقال لا يوقد احد منهم نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فارادوا
ان يتبعوهم فمنعهم فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا ذلك للنبي وشكوه اليه فقال يا رسول الله
اني كرهت ان اذن لهم ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت ان يتبعوهم فيكون
لهم مدد فيعطفوا عليهم فحمد صلى الله عليه وسلم امره وقال عمر بن الخطاب للهرمزان بعد ان
امنه انصح لي فقال نعم ان فارس اليوم راس وجناحان قال فاين الراس قال نهاوند
~~مع بنداد قال فان معه اساورة كسرى واهل اصبهان قال فاين الجناحان فذكر الهرمزان مكانا~~
~~نسيه فقال~~ اقطع الجناحين توهن الراس فقال له عمر كذبت يا عدو الله بل اعمد الى الراس
فيقطعه الله فاذا قطعه الله عني انقطع الجناحان وجاء في المشاورة قوله تعالى
وشاورهم في الامر قال ابن جرير اولى الاقوال بالصواب ان يقال ان الله امر نبيه بمشاورة اصحابه
فيما حزبه من امر عدوه ومكايد حربه تالفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام البصيرة
التي يومن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه امته ما تي الامور التي تحزبهم
من بعده ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا كما كانوا يرونه
صلى الله عليه وسلم يفعل في حياته فاما هو فان الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من

الامور بوحيه او الهامه صواب ذلك واما امته فانهم اذا تشاوروا مستثنين بفعلهم على تصادق
وتناصح للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم
وموفقهم اه وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الزهري بعث صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري والى الحارث
ابن عوف المري وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن
معهما عنه وعن اصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتب ولم تقع الشهادة
ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في ذلك فلما اراد رسول الله ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ
وسعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله امرا تحبه فتصنعه ام شيئا
امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام شيئا تصنعه لنا قال بل شيء اصنعه لكم والله ما اصنع
ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان
اكسر عنكم من شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله
وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا
افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا
من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله فانت وذاك
فتناول سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا ففي هذه القضية جواز مصالحة
الكفار بمال يدفع اليهم اذا خيف هلاك المسلمين وفيها اختصاص مشاورته اهل النجدة
وممارسة شدائد الحرب فان الانصار عرفوا بذلك كما علم واسلاه والسعدان تميزا من بينهم
بجودة الراي وثبات القلب فان سعد بن معاذ سيد الاوس وان سعد بن عبادة سيد الخزرج
وفيهما جاء الخبر المأثور ان قريشا سمعوا صائحا يصيح ليلا على ابي قبيس
فان يسلم السعدان يصبح محمد ◦ بمكة لا يخشى خلاف المخالف ◦ فظنت قريش انهما سعد بن زيد مناة
بن تميم وسعد بن هذيم بن قضاعة فلما كانت الليلة الثانية سمعوا صوتا على ابي قبيس
ايا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ◦ ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف ◦ اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا
على الله في الفردوس منية عارف ◦ فان ثواب الله للطالب الهدى ◦ جنان من الفردوس ذات رفارف ◦
فقالوا هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فينبغي ان لا يستشار في عظائم الامور الا
من يوثق بدينه وعقله وحنكته التجارب قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة
وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك حمدت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ
اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ
فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد افادتهم الايام تجربة قال الشاعر الم تر ان العقل زين لاهله
ولكن تمام العقل طول التجارب ◦ وقال آخر اذا طال عمر المرء من غير آفة ◦ افادت له الايام في كرها عقلا

وفي

وفي استشارته صلى الله عليه وسلم اصحابه مع كمال عقله وتاييده الرباني اسوة لغيره من رؤساء امته
في استشارة من دونهم في الحسن ومن هنا قال في السراج المستشير وان كان افضل من المشير
راي يزداد به رايا كما تزداد النار بالسليط ضوءا فلا تقذفن في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر
للناس منك الحاجة الى راي غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد الراي للفخر بل للانتفاع
به وان اردت الذكر كان احسن لذكرك واحسن لسياستك ان يقولوا لا ينفرد برايه دون ذوي
الراي من اعوانه ولا يمنعك عزمك على انفاذ رايك وظهور صوابه لك عن الاستشارة
الا ترى ان الخليل امر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه
في النفوس على الاستشارة فيه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى
وكان قال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق المخلوع يعني اخاه الامين فقال كان واسع
الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما تاباه همم الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ولا يقبل
مشورة يستبد برايه فيرى سوء عاقبته ولا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه
قال يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ما حل بمحله اما والله
لو ذاق لذاذة النصائح واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به ولا تلتمس
الرخصة في الراي ففي حكم الهند من التمس من الاخوان الرخص عند المشورة ومن
الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطا الراي وازداد مرضا وحمل الوزر اه
وفي المستطرف ان ملوك اليونان والفرس كانوا لا يجمعون وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه
بل يستشيرون الواحد من غير علم الاخر لئلا تقع المنافسة في الراي فتذهب اصابته ولئلا يضيع
السر لان اذاعته عند الجمع فاذا اذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه لانه ان عاقب
الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفى عنهم الحق الجاني بمن لا ذنب له ومما يتاكد في حق رئيس الجند
اخفاء عله منه المشهور هو برايته وتعديل زيه واكتمام مكانه حتى لا يلتمس عدوه غرته
واذا سكنت الحرب لا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه الكشف عليه
اذكيت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها حكى الذهبي عن عبد الله
ابن الزبير قال هجم علينا جرجير يعني ملك افريقية في مائة وعشرين الفا فتراءيت انا غرة من
جرجير بصرت به خلف جيوشه على برذون اشهب معه جاريتان تظلان عليه بريش الطاوس يس
بينه وبين عسكره فلاة من الارض فاتيت اميرنا ابن ابي سرح فندب لي فرسانا فاخترت منهم
ثلاثين وقلت لهم اثبتوا هنا وحملت على جرجير وقلت احموا ظهري فخرجت اليه وهو يظن اني
رسول اليه فلما دنوت منه عرف الشر فوثب على برذونه وولى فادركته فطعنته فسقط ثم ضربته
بالسيف ونصبت راسه على رمحي وكبرت وقد ركب المسلمون فحملوا وركبنا اكتاف العدو وتمزقوا اه

اسمى الآن جبل طارق

وحكى في السراج انه لما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس لفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية
خرجوا في الجزيرة الخضرا وتحصنوا في الجبل طارق وهم في الف وتسعماية فطمعت فيهم الروم و
فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدمير استخلفه لذريق ملكهم وكان قد كتب الى لذريق
ان قوما لا ندري امن الارض هم ام من السما قد وصلوا بلادنا فانهض الي وقد لقيتهم فانهض
الي بنفسك فاتاه لذريق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق وعلى خيلهم مغيث الرومي مولى
الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد القتال فراى طارق ما الناس فيه فقام فحضهم
على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في امالهم ثم قال ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم
فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيا فافعلوا كفعلي والله لاقصدن طاغيتهم
فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف خيمة لذريق وعلامته
ثم حمل عليه هو واصحابه حملة رجل واحد فقتل الله لذريق ولم يعد فتلك ذريع في العدو وحمى الله
المسلمين فلم يقتل منهم كبير شي وانهزم الروم واقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتز طارق
راس لذريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد وسار مغيث الى قرطبة وطارق الى
طليطلة ولم تكن لهم همة الا المائدة التي تذكر اهل الكتاب بانها مائدة سليمان عليه السلام
فدفع اليه ابن اخت لذريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتي الف بما فيها من الجواهر
التي لم ير مثلها قال الحكم ابو الوليد ومثل هذه الحيلة قتل البارسلان ملك الترك ملك الروم وقبضه
وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا بلغ عددهم ستمائة الف وكتايب متواصلة
وعساكر مترادفة وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق وآلات فتح الحصون وكانوا قد
قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة لهم وان
نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين وتواترت اخبارهم واضطربت لها ممالك الاسلام
فاحتشد للقائهم البارسلان المسمى بالملك العادل وجمع جموعه باصبهان واستعد بما قدر عليه
ثم خرج نحوهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلايع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان
غدا يتلاقى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا الله ما هم في المسلمين
الا لقمة جائع فبقي المسلمون واجمين لما دهاهم فلما اصبحوا اشتد هلعهم لما راوا من كثرة العدو
وقوتهم وآلاتهم فامر البارسلان بعد المسلمين فبلغوا اثني عشر الف تركي فجمع ذوي الراي
من اهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين واستشارهم فاجمع رايهم على اللقا فتوادع
القوم وتحاللوا وناصحوا اهل الاسلام واهله ثم تاهبوا للقا وقالوا للبارسلان بسم الله ونحمل
على العدو فقال يا معشر اهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم جمعة والمسلمون يخطبون على المنابر
ويدعون لنا شرقا وغربا فاذا زالت الشمس وفاءت الافيا وعلمنا ان المسلمين صلوا ودعوا لنا

وصلينا

وصلينا حملنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس وصلوا ودعوا الله بالنصر والربط على القلوب
وتوهين العدو والقا الرعب في قلوبهم وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته
ثم قال لرجاله لا يتخلف منكم احد حتى يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي
بسهمي ثم حمل جميعهم حملة واحدة الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا اليه وقتلوا من
حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل
فتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون غنايمهم واستحضر ملك الروم بين يدي
البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع بي لو اخذتني قال فهل تشك اني كنت
اقتلك فقال البارسلان انت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه فمضى به يزيد خلاف
يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم في خيام المسلمين بالدراهم والفلوس
فلم يدفع احد فيه شيا حتى باعوه بكلب فاخذ الذي كان يتولى امر الكلب والملك وحملهما الى البارسلان
وقال لم يدفع لي فيه احد شيا الا رجلا واحدا دفع لي فيه كلبا فقال لقد انصف الكلب خير منه فاقبض
الكلب وادفع له هذا الكلب ثم امر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم
وكحلته بالنار وحكى صاحب الحلل ان اهل اليمن لما طال عليهم تغلب الحبشة خرج بهم سيف
ابن ذي يزن طالبا للنصرة فارتحل الى النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحيرة فشكى اليه
امر الحبشة فادخله على كسرى وقال له ايها الملك غلبنا على بلادنا الاغربة قال كسرى واي الاغربة الحبشة
او السند فقال بل الحبشة وجيتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك فقال بعدت بلادك مع قلة خيرها
فلم اكن لاورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازه بعشرة الاف درهم وكساه كسوة
حسنة فلما خرج نثر الورق للناس فبلغ الملك فقال ان لهذا لشانا فبعث اليه فقال له عمدت الى
حباء الملك تنثره للناس فقال وما اصنع بهذا ما جبال ارضي التي جيت منها الا ذهب وفضة يرغبه
فيها فجمع كسرى مرازبته فقال ما ترون في هذا الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا
للقتل فلو انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ما اردت بهم وان يظفروا فهو ملك ازدته فبعث كسرى
معه من كان في سجونه واستعمل عليهم وهرز وكان مسنا فيهم وافضلهم حسبا فخرجوا في السفن
ووصلوا ساحل عدن فخرج الى سيف ووهرز معه ما استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك حتى نموت
جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت ثم تقاتلوا مع الحبشة وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة فلما
تصافى الناس قال وهرز اروني ملكهم فقالوا ترى رجلا على فيل عاقدا على راسه تاجا بين عينيه ياقوتة
حمرا قال نعم قال ذاك ملكهم قال ابن سار مسه فان رايتم اصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني اخطات الرجل
وان رايتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد اصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم اوتر قوسه وكانت لا يوترها

عليه لشدتها وامر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه فتفلقلت
الثابتة بين عينيه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولانت
له وحملت عليهم الفرس فانهزموا وهربوا الى كل وجه ~~ودخلوا هرابا~~ واقبل دهرز فدخل صنعا
اه وذكر صاحب نشر اهل الايمان بفتوحات آل عثمان ان السلطان مراد الاول بن السلطان
اورخان بن السلطان عثمان لما اظهره الله على كفرة الانس وشتت جموعهم واكثر القتل فيهم
سار بين القتلى فقام اليه نصراني من بينهم على آخر من حاله مجروح ملوث بالدم فاظهر
ارادة تقبيل ركاب السلطان فرده عنه فلج واظهر ان عنده كلاما يقوله للسلطان
فرق له وامر بتخليته فلما لحق بالركاب ضرب السلطان بخنجر مسموم كانت معه فاصاب
خاصرته فقتلوا اللعين من حينه وتالم لذلك السلطان وسار الى رحمة الله اه فانظر ما ياتي
على الملوك اذا عرفوا في الحروب من الحيلة والمقصد بالمكيدة ومن الحزم اللازم انتقا
الجند من اهل الفساد والشرور وكل من جربت خيانته وعرفت قلة دينه وفساد طويته
نعم مثل هوله من المنافقين قال الله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم
يبغونكم الفتنة والله عليم بالظالمين وذلك ~~بعد ان خرج صلى الله~~ في غزوة تبوك او منصرفه صلى الله عليه وسلم
منها وذلك بعد ان غزا معه بعض من يوفي نفاقه فانخزل يوم احد بثلثمائة ثم شهد معه
الخندق فقالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ثم شهد معه في غزوة بني المصطلق فقالوا لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم شهدوا غزوة تبوك فهموا به ليقتلوه فوقاه
الله شرهم نزلت فيهم الآية ~~...~~ فمن شهر
بمثل ما وصف الله من المنافقين لم يجز للامام ان يدعه يغزو معه ويلحق بهم في ذلك الجند
فانه لا خير في استصحابهم اذ هم ان نواسب الفشل والهزيمة ~~...~~ ولا يغتر بتصلفهم
في السعة قال قائلهم وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
فتركتهم تقص الرماح ظهورهم من بين منجدل واخر مسند ما كان ينفعني مقال نسائهم
وقتلت دون رجالها لا تبعد ولما هزم مرداس ... اربعين ... اسلم ... وكان
في القيس قال الشاعر الفا مومن منكم زعمتم ويهزمهم رجالا اربعونا كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرونا وقع في بعض
العساكر هجمة فوثب خراساني بدابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش فقال يخاطب
الفرس هب جبهتك عرضت فما صنعتك كيف طالت ... في رحمة الضعفا واجرا العدل
وبذل الحقوق لمستحقيها ~~...~~ قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر في قريش

ما اذا استرحموا

ما اذا استرحموا رحموا واذا حكموا عدلوا واذا قسموا اقسطوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل ... ولهم ...
هذه الخلال فيهم وحكم الغاية مما يخالفها وما بعدها لما قبلها ... الفسوق والجور في الاحكام
ومنع الحقوق من مستحقيها وايثار من لا يستحقها من اسباب خراب الملك وزوال الدولة
وقد تحقق ذلك في الخلفا العباسية اخر الامر بذلوا الاموال للمغنين والشعر واهل اللعب
واهملوا الرعية وركنوا الى اللذات واتبعوا الشهوات فسلط الله عليهم مماليكهم فاستولوا
على المملكة ولم يبق لهم الا منهم الاسم ... بحيث تصرفوا فيهم بالعزل والقتل ثم سلط الله
على الجميع طائفة التتار فاباد ملكهم ومحى رسمهم ودهم الضعف سائر بلاد الاسلام واجرى في غالبها
احكام الكفر لا سيما البلاد المشرقية ففشت المنكرات واستباح غالب من ينتسب الى الاسلام
المحرمات فلولا ان الله جبر حال الاسلام بظهور الدولة العثمانية اعلى الله مقامها ورفع
بالنصر والتأييد اعلامها لتجددوا معالم الدين واحيوا دارس شريعة سيد المرسلين لانسحق
الحق لكنه سبحانه حفظ وسلم وفتح الاسلام بسيوفهم فتحا مبينا ما تقدم عناية منه بهذا
الدين وتصديقا للصادق الامين فقد قال لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها
ولنعم الجيش ذلك الجيش ففيه منقبة لآل عثمان فانه خرج مخرج البشارة بما اكرم الله به
امته من الفتوحات وظهور الدين والقسطنطينية وان غزاها المروانية والعباسية فلم يتم
لهم من فتحها ما يحسن ان يقال فيه فتح كان ملوكها فيما تقدمهم يبذلون المال على وجه الصلح مرة واخرى
على وجه الجزية والخراج ثم ينقضون عليهم مرة بعد اخرى وانما الفتح الذي يحقق التبشير الفتح
الواقع على يد ابي الفتوح السلطان محمد اذ لم تقم بعده للكفار قائمة ولم تبق لهم بها كلمة وهو
الانسب بقوله ولنعم الامير اميرها اذا اضافته الى البلد تفيد عموم تصرفه فيها ولم يقع ذلك لاحد
قبله من اهل الاسلام فان كان القصد بلفظ الامير فردا معينا فهو ابو الفتوح وان كان المقصود
الجنس عم المتولين بعده ممن جرى على منواله في تنفيذ احكام الشرع والرفق بالرعية والذب
عن دين الله والاجتهاد في اعلاء كلمة الله واياما كان فهي منقبة لهذه الدولة العثمانية فعلى
القائم منهم ان يوفي حق رتبة شرفه فيجري على طريقة الاكرمين من سلفه وورد في خصوص
الرحمة اخبار منها من لا يرحم من في الارض لا يرحمه من في السما ومنها لا يرحم الله من لا يرحم
الناس ومنها لا تنزع الرحمة الا من شقي وفي العدل اخبار منها ما من ملك يصل رحمه وذوي
قرابته ويعدل في رعيته الا شد الله له ملكه واجزل له ثوابه واكرم مآبه وخفف حسابه ومنها يوم
من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الارض بحقه ازكى فيها من مطر اربعين
صباحا ومنها افضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة امام عادل رفيق وشر عباد الله عند الله

منزلة يوم القيامة امام جائر خرق ومنها من ولي من امور المسلمين شيا فحسنت سريرته رزق
الهيبة من قلوبهم واذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا وفر عليهم اموالهم وفر
الله عليه ماله واذا انصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا عدل فيهم مد في عمره
ومنها السلطان ظل الله في الارض ياوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وكان
على الرعية الشكر وان جار او حاف او ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة
قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت المواشي واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة واذا اخفرت
الذمة اديل الكفار او كلمة نحوها وفي الحديث ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية
الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من
السما ولولا البهائم لم يمطروا وما بخس قوم المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة
وجور السلطان ولا حكم امراوهم بغير ما انزل الله الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا
بعض ما في ايديهم وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه الا جعل الله باسهم بينهم وجا في تضييع
حقوق الضعفا اخبار منها ان الله لا يقدس امة لا يعطون الضعيف منهم حقه ومنها
ايها الناس من ولي عليكم عملا فحجب بابه عن ذي حاجة المسلمين حجبه الله ان يلج باب الجنة
ومن كانت همته الدنيا حرم الله عليه جواري فاني بعثت بخراب الدنيا ولم ابعث بعمارتها
فصل في اجتماع الكلمة قال الله تعالى واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم قال النسفي في تفسيره اطيعوا الله ورسوله اي في التالف على نصرة الدين وقيل اطيعوا الله
في الامر بالقتال ورسوله فيما يامركم به حالة الالتقاء من تقدم او تاخر او كف او اقدام او
نحو هذا ولا تنازعوا اي لا تختلفوا فتفشلوا اي تجبنوا وتذهب ريحكم قال ابو حفص هي
ريح النصر وفي الحديث نصرت بالصبا ~~وقال مجاهد نصركم وقال السدي جدكم وقال عطا جلدكم~~
~~وقال النضر قوتكم وقال الاخفش دولتكم وقال ابن يمان غلبتكم وقيل غيره كذلك وفيه~~
~~في جواز تعلم اقوال الاخر~~ فصل في جواز تعلم اكثر العلوم الالية من الكفار روي عن
عامر الشعبي كان انه قال اسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين اسيرا وكان
يفادي بهم على قدر اموالهم وكان اهل مكة يكتبون واهل المدينة لا يكتبون فمن لم
يكن عنده فدا دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فاذا حذقوا فهو فداوه
وحذقوا معناه مهروا وعن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحسن السريانية
زيد بن ح
فقلت لا قال فتعلمها فانه تاتينا كتب فتعلمتها في سبعة عشر يوما قال الاعمش كانت
تاتيه كتب لا يشتهي ان يطلع عليها الا من يثق به وعنه امرني رسول الله فتعلمت له كتاب
يهود وقال اني والله ما امن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي الا نصف شهر حتى حذقته
فكنت

فكنت اكتب له اذا كتب واقرا له اذا كتب اليه ففي الحديث الاول دليل على جواز تعلم الكتابة
من الكفار بلا شرط صرح به اذ من المعلوم انه كان معه صلى الله عليه وسلم جماعة من المهاجرين
يحسنون الكتابة ويكتبون له الوحي فافاد ذلك جواز اطلاق جواز تعلم العلوم الالية النافعة في
الذين من الكفار فاذا جاز تعلم الكتابة منهم التي يتوصل بمعرفتها الى كتابة كلام الله وحفظه فالاولى
غيرها كالامور الحربية التي نحن في بيان الاحتجاج لجواز تعلمها منهم مع قيام الفرض وفي
الباقي دلالة على جواز تعلم ما اختص به الكفرة من معارفهم اذا توقف عليها امور دينية لانه اذا
جاز تعلم السريانية والعبرية فغير ذلك من معارفهم الصناعية النافعة في الدين لا بد
بالاولى ومن مذهبنا جواز الاستعانة باهل العهد في نفس الجهاد فاولى ان يعوض وسائله كما قاله
السرخسي في المبسوط المقصد الثاني في الامور السياسية السياسة لغة مصدر ساس الرعية
ليسوسها اذا امر فيها ونهى بشرط اصابة الصواب فيهما وتطلق على حسن التدبير وجودة
الراي وعرفا القانون الموضوع لرعاية الاداب والمصالح وانتظام الاحوال وهي نوعان
سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج ~~كثيرا من المظالم وتمنع اهل~~
الفساد يتوصل بها الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب المصير اليها وهي باب واسع
تضل فيه الافهام وتزل فيه الاقدام واهماله يضيع الحقوق ويجري اهل الفساد والتوسع
فيه يفتح ابواب المظالم ويوجب سفك الدماء واخذ الاموال ولذا سلك فيه طائفة مسلك
التفريط فقطعوا النظر عن هذا الباب ظنا ان ذلك مناف للقواعد الشرعية فسدوا
من طريق الحق سبله واضحه وعدلوا الى طريق من الفساد واضحة اذ في انكار السياسة
الشرعية رد النصوص وتغليط الخلفاء الراشدين وسلك فيه طائفة مسلك الافراط
فتعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع الى انواع الظلم والبدع السياسية وتوهموا
ان سياسة الشرع قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الامة وهو جهل قال تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم فدخل في هذا جميع مصالح العباد دينية او دنيوية وقال صلى الله عليه وسلم تركت
فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي وتوسطت طائفة فسلكت مسلك الحق
وجمعوا بين السياسة والشرع فقمعوا الباطل ودحضوا ونصروا الشرع والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم هذا واعلم ان جميع ما رتبه الكفرة من سياساتهم العقلية فنحن في غنى عنه بما انزل الله
في كتابه وسنة رسوله الذي ما ينطق عن الهوى واثنى عليه تعالى بقوله وانك لعلى خلق
عظيم فله من اعتدال الطبع وكمال العقل ما لا يطاق والعقول التي ما ايدتها العصمة
ولا صاحبها التوفيق وان بلغت ما بلغت لا تخلو عن دواعي نفسانية فكيف بعقول
اضلها الله واعمى بصائرها عن ظاهر الوحدانية ~~الوهية~~ فاعتقدت الوهية
بشر زعمت ان اليهود احقر خلق الله قتلوه وصلبوه فكيف يعول عليها على وجه الصواب

او يخرجوا عن دقائق الحكم الحجاب بيننا وبين النصارى امرهم بما قال الله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
والسياسة التي شرعها الله لنا من حدود ومزاجر واخلاق واداب سياسة تقصد فيها الى عمارة
الدنيا والاخرة تكفل لنا ببيانها العلم الحنيف وشرحها لنا نبينا البشير النذير بيضا نقية محفوظة
بجنبات لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم محروسة الجناب بحماة الدين ونقلة الشرع الكريم فاني
يرضى من له عقل ودين ان يعدل عن صفوها الى الكدر او يعتاض عن الدر المدر وغاية الامر
انما وافق من قبلنا ثم الشرع يحمل على بينة انه مشروع لنا لا على قصد اتباعهم فيه لقوله صلى الله
عليه وسلم لما قال له انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا افترى ان نكتب بعضها امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي والتهوك التحير
بين صلى الله عليه وسلم انه لو كان موسى حيا لم يجز له ان يعمل بشيء مما انزل الله عليه من شريعته الحق
الا بعد ثبوت كونه من شريعة نبينا وقصد اتباعه فما بالك بغير موسى ومبنى السياسة الرعية
اللين والمشاورة وان لا يستعمل على الولايات راغب فيها لحرص قال تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
في الامر فمعنى الاية ان الفظاظة تنفر الاصحاب والخل وتفرق الجموع والحلم والملك سلك حبائله
واصحابه واتباعه ومانعه الا وليا يطلع الاعدا على كل سلطان رفضه ولكن كما قال الله واخفض
جناحك للمؤمنين ويبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة فان الرياح تقوى اصواتها فتقتلع اخلال
الشجر وتنعطف ~~الاقنات~~ الاغصان وفي الوطيء تنكسر الاغصان والماء بلينه في اصول
الشجر تقلعها من اصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام حين تستعطف
فتخرج فاولى الانسان ان يستمال بلين القول ومن جملة المشاورة آداب الملوك والامرا
والمحافظة عليها من حسن الادب مع الجليس وكما تسمو همته في الامور فان الكبر نفوس
الخلق والصلحا والوزرا تصلح عليه وتميل اليه وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله استعملني
فقال انا لا نستعمل على عملنا من اراده وسر ان الولايات امانات وتصريف في ارواح الخلائق
واموالهم والمسارعة الى الامانة دليل الخيانة وانما يخطبها من اراد اكلها واذا ائتمن خائن
كان كاسترعا الذئب على الغنم ومن هنا تفسد قلوب الرعايا على ملوكهم لانه اذا اكلت اموالهم
فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالتشكي والدعا فكانوا كما قال وراعي الشاة يحمي الذئب عنها
فكيف اذا الذئاب لها رعا واذا خان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قال
الملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح اذا حلت به الغير واعلم ان الملك بمنزلة رجل فراسه
انت وقلبه وزيرك ويداه اعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك وما بقا جسد بلا روح
واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس صغير وكبير ووسط فاجعل كبيرهم ابا
ووسطهم اخا وصغيرهم ابنا فاجلل اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فاركان الملك بنا والجند
اساس

والجند اساس فاذا قوي الاساس دام البنا وان ضعف الاساس انهار البنا فلا سلطان الا بجند
ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل اساسا لسائر
الاساسات فالعدل النبوي ان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم الحافظون لحدود الله
والناصحون لعباد الله قال صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم فاتخذ ايها الملك العلما
شعارا والصالحين دثارا فتدور المملكة بين نصائح العلما ودعوات الصلحا واخلق بملك يدور
بين هاتين الخصلتين ان يقوم عموده ويتقوم اوده وكيف لا وقد قرنهم الله في سلطانه واصطفاهم
بخالص معرفته فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات واكد الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته معه اذا خالف
واليه امره عزله وعاقبه واذا امتثل امره ونهيه حل منه محل الرضا فواعجبا لمن يغضب على واليه
اذا خالفه بره ولا يخاف سطوة ربه اذا خالفه فهذا طريق السياسة الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة
السالمة من العيوب ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول المجنون
فقال يا امير المؤمنين احذر جلسا السوء واعتمد جلسا صالحا يذكرك بمصالح خلقته اذا انغلقت
والنظر فيهم اذا الهوت فان هذا انفع لك وللناس واكثر في الاجر مما تاتي به من صوم وصلاة
وقد صح ان الرجل يلقي الكلمة عند ذي سلطان فيعلي بها فتملا الارض عدلا كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فيهوي بها في النار سبعين خريفا ولا تكن يا امير المؤمنين ممن
قال الله فيهم واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدني
فقال يا امير المؤمنين ان الله قد اقادك الناس وجعل امرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة
وما ذلك الا لتحملهم على الا يتركوا امر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وليعطي من هذا المال الارملة
والشيخ الكبير واليتيم وابن السبيل قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين
والاخرين في صعيد واحد احضر الملوك وغيرهم من ولاة الامور فيقول لهم لم امكنكم من بلادي
لجمع الاموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعتي وتنفذوا فيهم امري ونهيي وتعزوا
اوليائي وتذلوا اعدائي وتنصروا المظلومين من الظالمين فيا هارون تفكر كيف يكون جوابك
عما تسال عنه من امور العباد في ذلك الموقف ويداك مغلولتان الى عنقك وجهنم بين يديك
والزبانية محيطة بك تنتظر ما تومر به فبكا هارون بكا شديدا فقال له بعض الحاضرين كدرت على امير
المؤمنين في مجلسه فقال لهم يا هارون اتقوا الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من تعدتموه ثم خرج من
عنده وفي السراج الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وعدة الحوادث واعداد الملمات
وعليهم الجد عند اللقا والصبر عند البلا فان غلبوا فليمعنوا في الطلب وان غلبوا فلينكفوا
الا عنه وليحموا الاسنة وينبغي للملك تفقد الجنود كتفقد صاحب البستان بستانه ولا تصلح
الجند الا بادرار ارزاقهم وسد خلاتهم قال اردشير لابنه شيرويه لا توسعن على جنودك فيستغنوا
عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم في الرجا ولا توسع عليهم في العطا وقال ابو جعفر

لقواده سير واعمل بهذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجمع لهمك يتبعك فقال له ابو
العباس الطوسي احشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ومنه ويروى ان
بعض ملوك العرب كان ظالما لرعيته شديدا لهم آخذا اموالهم فوثبت في ذلك فقال
اجمع لهمك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه ثم قال بعض الحكما فقال ربما اكل الكلب
صاحبه اذا لم يشبعه ثم اعلم ان المال قوة السلطان ~~ومادة الملك~~ وعمارة المملكة
ولقاح الامن ونتاج العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال اقوى
العدد على العدو وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يوخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من السرف ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشهم ومصالحهم ثم ينفق في
وجه ينفعهم فينبغي الحرص على تمامه والوهن من جباية الاموال بالرفق فان العلقة تنال
الدم بغير اذى ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعتها وعلو صوتها ولما استعمل
عثمان ابن ابي سرح على مصر بعد عزله عمرو بن العاص حمل اليه اكثر من المال مما كان
يحمله عمرو فقال له عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت قال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها
ووالاه مثلا اذا استقصى الحالب حلب الدم رفصته وفي منثور الحكمة من حاف وزاد في الحلب حلب
الدم وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا ارق المامون ليلة
فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا امير المومنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة
الموصل من بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا انكح ابنتي الا ان تجعلي في
صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر الان ولكن ان دام الله والينا
سنة فعلت ذلك فاستيقظ المامون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض
وتفقد امر الولاة واشرف على بيت المال ودخله فقال يا بيضا يا حمرا ابيضي واحمري وغري
غيري ثم امر فقسم ما فيه على المسلمين ثم امر بكنسه ورشه ودخله وصلى فيه ومنعوا ما اهلك
ملوك الاندلس وسلط عليهم الروم ان الروم لم يكن لهم بيوت اموال ولا يتنعمون الخزائن
التي ياخذونها من الاندلس فكانوا يقسمونها على الرجال والقواد وياخذ سلطانهم مثل ما ياخذ
وقدر ما ياخذ منها وكانت سلاطيننا ~~الاندلس~~ تحتجب الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت
رجال وللمسلمين بيوت اموال فبهذا ظهر الروم على المسلمين اذ لا شك ان بيت رجال خير من بيت مال
~~دنيا على الامام~~ وفي المحيط على الامام ان يتقي الله في صرف الاموال الى مصارفها ومنتجه
وايصال الحقوق الى اربابها ولا يحجبها عنهم على ما يرى من تفضيل وتسوية من غير ميل
الى هوى ولا يحل لهم الا ما يكفيهم واعوانهم بالمعروف وقدم على عمر صهر له فرجى ان يعطيه
من بيت المال فانتهره عمر وقال اردت ان القى الله ملكا خائنا ثم اعطاه بعد ذلك من صلب
ماله عشرة الاف درهم وقال الاحنف ابن قيس كنا جلوسا بباب عمر فخرجت جارية فقلنا
سرية امير المومنين فسمعت فقالت ما انا بسرية امير المومنين وما احل له اني لمن مال
الله فذكر ذلك لعمر فقال صدقت وساخبركم بما استحل من هذا المال استحل منه حلتين
حلة للشتاء وحلة للصيف وما يسعني لحجي وعمرتي وقوتي وقوت اهل بيتي وسهمي مع

مع المسلمين كسهم رجل ليس بارفعهم ولا اوضعهم خاتمة من اسباب النصر
ما اشار اليه سبحانه بقوله ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان
مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ~~فشرط تعالى للنصر اربع شروط فمتى تضعضعت القواعد~~ ضمن تعالى النصر للملوك
وشرط عليهم اربعة شروط هي اركان فمتى تضعضعت قواعدهم واضطربت عليهم الامور
فليلجوا الى الله سبحانه باقامة الميزان بالقسط واخلاص اركان الدين ونصر المظلوم
والاخذ على يد الظالم وكف القوي عن الضعيف ومراعاة الفقهاء والمساكين وذوي
الحاجة والمستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشي من الشروط ~~المعدودة~~ حتى قال
ابو بكر الصديق يا ايها الناس انكم تقراون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده
~~وقال تعالى~~ ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من يثق به فيما نابه ويفوض اليه
امره فانه لا يضيع امره بحيث لا يحتاج معه والمراد بالتوكل ترك الاعتماد على
الاسباب لا ترك التعاطي ففي الحديث احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز
وان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء
الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فالتوكل بهذا المعنى من اعظم ما يتقوى
به على دفع الاعدا والاولى ان ينضم الى التوكل القلبي نطقه بقول حسبنا الله ونعم
الوكيل فانه انجح شي عند لما قاله من الصحابة ~~في اية حسبهم وقالوا حسبنا الله~~
~~ونعم الوكيل~~ قال الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم
وبقوله حكاية عن طالوت واصحابه في حربهم مع جالوت ولما برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت والمبارزة ان يظهر كل قرن لصاحبه بحيث يراه
فهذا الموطن موطن اجابة باخبار الاية الكريمة وفي الحديث ثلاث ساعات لا ترد للمسلم
دعاء ما دعا فيهن الا استجيب له ما لم يسال قطيعة رحم او ماثم حين يؤذن المؤذن
بالصلاة حتى يسكت وحين تلتقي الصفان حتى يحكم الله بينهما وحين ينزل

المطر حتى يكف فدعا بهذه الآية من آكد ما ينبغي ان يدعى به عند لقاء العدو واداب
ان يستعمل في كل مقام من الدعاء ما ورد فيه ومما ورد قوله صلى الله عليه وسلم في
بعض ايامه التي لقي فيها العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب
اهزمهم وانصرنا عليهم وفي رواية اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب
اللهم اهزمهم [illegible] وزلزلهم [illegible] وروي انه كان يقول اذا
غزا انت عضدي ونصيري بك احول وبك اصول وبك اقاتل وكان اذا
خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم وقال يوم حنين لا تتمنوا لقاء العدو
فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم
وقلوبنا وقلوبهم بيدك وانما تغلبهم انت وكان يقول عند الكرب لا اله الا الله
العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
السبع والارض ورب العرش الكريم ومن السنة ان تتوسل بصالح الاعمال عند اللقاء
حكاه لك النبي بعد بدر ومن اسباب النصر الاستفتاح بالضعفاء والفقراء اي
استفتاح القتال بهم تيمنا او المراد بالدعاء طلب الدعاء منهم بالنصر ومن اسباب
القوة التواضع والعفو عن المظالم ففي الحديث ما نقصت صدقة من مال
وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل ومنها
التوبة قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون رتب ترجي
الفلاح الذي هو الفوز بالبغية على التوبة فدل انها سببه واركانها الاقلاع
عن المعصية بايفاء الحقوق واستحلال المظالم والعزم على ان لا يعود والندم
على ان لا يقوى على ما فات اللهم تب علينا [illegible]

آمين

وقف هذا الكتاب لله تعالى كل من محمد عبد العظيم افندي واخيه محمد امام افندي نجلي
العلامة المغفور له شيخ اهل عصره الشيخ ابراهيم السقا ينتفع به العلماء وطلبة العلم بالجامع الازهر والدهما المرحوم
وجعلا نظره تحت يد محمد امام السقا مدة حياته ثم من بعده يكون تحت يد محمد عبد العظيم السقا كذلك
ثم من بعدهما يكون تحت يد اولادهما الذكور دون الاناث الارشد منهم فالارشد ثم من
بعدهم يكون نظره لمشيخة الازهر الشريف للانتفاع به كذلك ابد الابدين ودهر الداهرين
وشرطا انه لا يعير الا لامين بحفظ التغييرة وقفا صحيحا لا يباع ولا يرهن ولا يوهب
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم تحريرا في يوم الاثنين
غرة محرم الحرام سنة الف وثلثمائة سبعة وثلاثين هجريه